

الدولة البرتية

أو

الدولة الفارسية الثالثة

في العراق

سنة ١٢٦ ق م - سنة ٢٢٦ بعد الميلاد

عندما ضعفت الدولة السلوقية اليونانية التي قامت على انقاض دولة الإسكندر الذي قرض الدولة الكيانية اغتتم البرتيون^(١) فرصة ضعفها فنهض فيهم زعيمهم أرشك " إيشك : ارشاق " فأجتاح بقومه بلاد البرتين سنة ٢٥٠ ق م وخرج على السلوقيين ثم أعلن استقلاله سنة ٢٤٨ ق م وأسس الدولة البرتية^(٢)

(١) البرتيون هم سكان البلاد الجبلية التي في شرقي بحر قزوين وجنوبه . ولما كانت بلادهم قاحلة كانوا يعيشون عيشة بدوية متنقلين في الجبال الواقعة بين هرقانيا ومرجيانا وكانوا قد خضعوا لحكومات مختلفة للأشوريين ثم للميديين ثم للفرس ثم لإسكندر الكبير ثم للسلوقيين ثم استقلوا وصارت لهم على توالي الأعوام دولة كبيرة وقد عرفهم العرب بالفرس بفتح الفاء تمييزاً لهم عن الفرس (بضم الفاء) الحقيقيين .

(٢) عرفت بهذا الأسم نسبة إلى أقليمهم الأول أو بلادهم الأصلية وهي برتية أعنى خراسان الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الأرشكانية نسبة إلى زعيمهم ومؤسس دولتهم ارشك . يقول بعضهم أنه أسس هذه الدولة سنة ٢٥٥ ق م واستقل بلاد فارس كلها في السنة نفسها .

ومات في السنة التي أعلن استقلاله فيها ^(١) وظل أعقابه يوسعون مملكتهم بما كانوا يفتحونه من بلاد الدولة السلوقية حتى أصبحت دولتهم واسعة الأطراف . ثم حملوا على العراق سنة ١٤٣ ق م وبعد حروب استمرت أعواماً بين الأمتين " البرتيون واليونان " وجلبت على هذا القطر الذي صار ميداناً لتلك الحروب حينذاك أنواع النوايب ثم تم أمـسـ البروتيين في العراق سنة ١٢٦ ق م في عهد ملكهم مهرداد السادس (١٧٥ ق م - ١٢٦ ق م) ^(٢) وأخذوا مدينة سلوقية التي بناها

(١) ولم يحكم غير سنة واحدة على ما رواه الثقات غير أن بعضهم يزعم أنه حكم خمسة عشر سنة وذكر آخرون أنه ملك اثنتين وعشرين سنة قضاها في توسيع ملكه ثم مات قتيلاً في إحدى المعارك ، وقد اختلفت الروايات في نسبه وكيفية قيامه وتأسيس حكومته فمن قائل أنه من نسل دارا ومن قائل أنه من طبرستان وكان قائداً عاماً على بلخ من قبل السلوقيين فلما عزم على تأسيس حكومة وطنية في طبرستان توجه إليها وجمع قومه وثار على الملك السلوقي أنتيوخوس فأرسل السلوقي لقتاله جيشاً ثم سار هو بنفسه وبعد معارك انتصر أرشك وتمزق الجيش السلوقي ووقع أنتيوخوس قتيلاً في المعركة الأخيرة فلما رأى أمراء بلاد فارس انتصار أرشك انضموا إليه جميعهم بعد أن اشترطوا عليه أن يكون لكل واحد منهم استقلالاً إدارياً في منطقتهم ويكون هو الرئيس على الجميع وعلى أثر ذلك أخذ أرشك مدينة الدامغان التي هي من مدن طبرستان عاصمة له . ومن قائل أنه هجم بقدمه على الوالي السلوقي أغا توكليس فقتله وتولى مكانه سنة ٢٥٠ ق م ثم حمل على هرقانيا وأستولى عليها وحاول الملك السلوقي انطيوخوس نازس إخضاعه واجتاد تلك الثورة ففشل وعلى أثر ذلك سار أرشك بجيش كبير إلى قتال السلوقيين والبخترانيين فأخاز إليه أهل بخترية فانتصر على السلوقيين وطردهم من بلاد فارس ومادى .

(٢) وزعم بعض المؤرخين أن الذي أخذ العراق من السلوقيين مهرداد الأول ، والرواية ضعيفة .

سلوقس الأول اليوناني على الضفة اليمنى من دجلة عاصمة لهم بعد أن فتكوا بأهلها لتحزبهم للسلوقيين ثم ابنتوا مدينة تجاه سلوقية على الضفة اليسرى من دجلة وسموها قطيسفون وجعلوها عاصمة لهم بدلاً من سلوقية فسمى العرب هذه المدينة طيسفون وسمها اليونان اكتيسفون .

شكل

حكومة البرتيين

كان نظام الدولة البرتية يختلف باختلاف الأقوام والأقاليم وكانت تنقسم إلى ممالك صغيرة أو مقاطعات مستقلة ولكل واحدة منها ملك يحكم عليها ويخضع للملك البرتي المقيم في اكتيسفون فهي والحالة هذه أشبه بالولايات المتحدة . ومن تلك الممالك الصغيرة التي كانت في العراق إمارة ميشان التي كانت في موقع البصرة ، وإمارة حطارا التي كانت قرب تكريت وإمارة حدبلى التي كانت أرض الموصل وما يجاورها أي بين الزابين وتمتد إلى الشرقات وإلى نصيين وقاعدتها أربيل، وإمارة الحيرة المشهورة التي كانت في موقع أبي صخير وهي حكومة عربية أسسها مالك بن فهم التبوخي سنة ١٣٨ م ^(١) .

(١) هو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان من الأزد، أول ملك على العرب بأرض الحيرة، أصله من قحطان ، هاجر من اليمن بعد سيل العرم في جماعة من قومه، فأنزل بالعراق وابتنى بستاناً في موقع الحيرة وأمتدت أيدي رجاله بحكم تلك الأنحاء فلم يكن عليها سلطان وعاش فيها نحو عشرين سنة ، قتل سلمة بن مالك غيلة .

انظر المزيد في : المختصر في أخبار البشر ١/٦٩ ، مروج الذهب ٣/١٨٢ ، تاريخ يعقوب ١/١٦٩ ، نهایة الأرب ١٥/٣١٥ ، المعارف ٣٨١ ، جبهة الأنساب ٣٥٨ ، السبائك ٧٥ .
العرب قبل الإسلام ١٧٣ .

العراق في عهد البرتين

بعد أن تم أمر الدولة البرتية في بلاد بابل أطلقوا لأهلها الحرية التامة في كل شىء وأبقوا قوانين البلاد وشرائعها على ما كانت عليه قبلاً ولم يتعرضوا بديانات أهل البلاد ولا بعاداتهم وعوائدهم ومنحوا لبعض المدن استقلالاً إدارياً ولبعضها استقلالاً إدارياً وسياسياً . فكان في عهدهم لكل مدينة استقلال بلدى وحق في أنتخاب القضاة والمجلس الإدارى كما كان في مدن الأقطار الأخرى التى تحت حكمهم إلا أنهم جعلوا على العراق حاكماً عاماً فارسياً يدير شؤون تلك المدن المهمة تحت إشراف الملك البرتى المقيم فى اكتسيفون وفرضوا على كل مدينة ضريبة سنوية تؤديها للحكومة وبذلك تمتع العراقيون فى أكثر عهد هذه الدولة بالحرية التامة وعمرت بلادهم وكثرت ثروتهم خصوصاً وإن البلاد كانت هادئة لم يحدث فيها حرب دينية أو فتن مذهبة إلا ما كان يحدث أحياناً بين أهل البلاد وبين اليهود من الفتن بسبب الاختلاف الدينى مما لا علاقة له برجال الدولة لأن البرتين لم يكن عندهم فرق بين دين وآخر ولا تعصب لدين من الأديان حتى دينهم الرزدشتى الذى كانوا عليه - وما كان يحدث بين هؤلاء الملوك وملوك سورية فى الحروب التى كاد يتطايروا بعض شررها على أبناء الرافدين .

الحروب

بين البرتيين وملوك سورية

لما تم أمر البرتيين في العراق وأسوأ دولة كبيرة تضم عدة أقاليم حاولوا التسلط على سورية كما حاول السلوقيون ملوك سورية الذين طردوا من العراق إرجاعه إليهم فسببت تلك المطامع حروباً دامت أعواماً طويلاً خسرت فيها الدولتان خسائر فادحة وأصيب بسببها أبناء الرافدين ببعض النوائب .

فلما انقضى عهد السلوقيين من سورية سنة ٦٤ ق م ، وقام فيها الرومانيون طمعوا في العراق كما طمع البرتيون في سورية فأمتدت من أجل ذلك بينهم الحروب وأكثرها كانت تقع فيما بين النهرين ولكنها كانت في أول الأمر سجالاتاً بين الأمتين ثم صار النصر حليف الرومانيين^(١) وحمل طريانوس الإمبراطور الروماني سنة ١١٤ م بجيش كبير على البرتيين في أيام الملك خسرو الذي سماه بعضهم إرشاق الرابع والعشرين فانتصروا عليهم وتوغل الإمبراطور في بلادهم حتى استولى على سواحل دجلة من جبال أرمينيا إلى خليج فارس سنة ١١٥ م واستولى على سواحل مدينة سلوقية واكتسيفون وغيرها من مدن العراق وزعزع أركان الدولة البرتية وكاد يقضى عليها إلا أن الملك البرتي خسرو تمكن أخيراً من

(١) بعد أن أفتح الملك البرتي أرطبان الثالث أو أردوان الثالث أرمينيا وأخذها من

الرومانيين في عهد الإمبراطور طيرنوس .

جمع جيوشه المنفرقة وحمل على الرومانيين وأخرجهم من بلاده فعادوا بالفشل^(١) ولم تمض أعوام قليلة حتى عادت الحرب بين الدولتين سنة ١٦٤ م فانتصر الروم أيضاً وتوغلوا في العراق وحاصروا عاصمة الملك اكتسيفون سنة ١٦٥ م ولم يرجعوا عنها حتى عقدا صلحاً يرضيهم فلما دخلت سنة ١٩٥ م عادت الحرب فأندحر البرتيون وتقدم الرومانيون وتوغلوا في العراق وتمكنوا من الاستيلاء حرباً على اكتسيفون فنهوها .

وظل البرتيون تارة ينتصرون على الروم وأخرى يندحرون أمامهم وآونة يعقدون الصلح معهم حتى انقضت أكثر مدتهم في نزاع وحروب هذا عدداً ما كان يحدث أحياناً من الفتن الداخلية التي كانت تقوم تارة بين الأسرة المالكة لتنازعهم على الملك وأخرى من الشعب فيختل النظام وتضطرب أمور المملكة ويؤدي ذلك إلى خلع الملك أو قتله . وأحياناً كان الرومانيون يتدخلون في شؤون الدولة بسبب تلك الفتن المتتالية حتى تحكم الضعف فيها وأختل نظامها وأخذت تنحط عاماً فعاماً وزالت هيبتها وطمع بها أعدائها وكان آخر ملوكها أردوان الرابع (٢١٦ م - ٢٢٦ م)^(٢) .

(١) ويروى أن الإمبراطور الروماني طريانوس أنزل الملك خسرو من عرش الملك وأجلس مكانه يرثاباط عندما استولى على اكتسيفون وتصرف هذا القيصر بأمر الدولة البرتية كيف شاء ثم عاد إلى مقره سنة ١١٧ م ويروى أن القيصر الروماني ثرايان حمل على الرتين حتى دخل العراق واستولى على اكتسيفون وخلع الملك فيروز وولى مكانه رجلاً من أفراد الأسرة المالكة وعاد إلى مقره فلما مات القيصر الروماني هذا عاد فيروز إلى العرش ثم تولى خسرو فأنزله من العرش القيصر طريانوس .

(٢) وفي رواية أنه جلس على العرش سنة ٢٠٨ م .

انقراض الدولة البرتية

جلس أردوان الرابع على العرش في الوقت الذي كانت فيه الدولة البرتية قد انهكتها الحروب الخارجية (التي تقدم ذكرها) والفتن الداخلية التي بدأت منذ سنة ١٩٧ م تارة بين الاسرة وتارة يثيرها الشعب على ملوكه لضعف الدولة حتى طمع بها أعداؤها فزادت في عهده الفتن والأضطرابات وكثرت المشاغب في الاسرة المالكة فأغتنم الرومانيون فرصة تلك الأضطرابات المتوالية التي انهكت الدولة وحمل الإمبراطور الروماني قراقلا على ما بين النهرين سنة ٢١٦ م ثم عقد خلفه مرقيانوس في سنة ٢١٧ م صالحاً مع أردوان هذا ولكن الدولة البرتية لم تكد تستريح من الحروب الخارجية حتى ثار الفرس سنة ٢٢٤ م بزعامة أردشير بن بابك من آل ساسان^(١) الذي عزم على تأسيس دولته ونهض بقومه من الهضاب التي في غربي إيران فأخضع في مدة قصيرة جميع بلاد فارس. وتبعه خلق كثير من الفرس الميدين ثم حالف جماعة كبيرة من الملوك والأمراء الذين تحت سلطة البرتيين فأتحواوا إليه وعزم على محو تلك الدولة التي حكمتهم مدة خمسة أجيال فهم أروان الرابع بإخمد تلك الثورة بادئ بدء فخابت مساعيه بعد عدة معارك دارت رحاها بينه وبين أردشير فاندحرت جيوشه وأعلن أردشير ملوكيته المستقلة في باخترا وسمى نفسه ملكاً. وبعد حروب دامت نحو سنتين انتصر أردشير انتصاراً باهراً ومزق جيوش الدولة البرتية وأفتتح العراق وغيره من الأقطار التي تحت حكمهم ودخل عاصمة

(١) قيل أنه كان من كبار القواد في تلك الدولة .

الملك اكتسيفون سنة ٢٢٦ م واستولى على جميع ما كان لتلك الدولة من المستملكات والبلاد والأموال. وانهمز الملك البرتي أردوان الرابع إلى جبال أرمينيا (وقيل قتل في المعركة الأخيرة) ^(١) فأنقضت دولة البرتيين التي أسسها أرشك بعد ان دامت ٤٧٤ سنة (٢٤٨ قبل الميلاد ٢٢٦ بعد الميلاد) وضمت مدن إيران الحديثة وأكثر بلاد الأفغان وقسماً كبيراً من تركية آسيا وأقاليم متسعة من املاك روسية الخالية والعراق وبلاد آشور وبلاد مادي التي في ضمنها كردستان. وملك في بعض الأحيان بلاد ما بين النهرين (الجزيرة) لأنها كانت تارة تكون للروم وتارة لهم . ولكنها لم تحكم العراق إلا نحو ٣٥٢ سنة (١٢٦ ق م - ٢٢٦ م) وعدد ملوكهم الذين حكموا العراق ٢٠ ملكاً أولهم مهرداد السادس وآخرهم أردوان الرابع ^(٢) وقد وجد الباحثون من النقبين في مدينة لاكاش "لجش" قصرأ من بناء هؤلاء الملوك قد شيده فوق هيكل انينو الذي كان مرصوداً لاله المدينة ^(٣)

(١) ويروى أن هذه الدولة بقيت مدة في أرمينيا بعد ذلك . وقيل ظهر لها فرع في الجزيرة دام ٢١٠ سنوات (٢١٨ م - ٤٢٨ م) قرصها الساسانيون أيضاً في عهد الملك شابور الأول .

وقيل أن أردوان الرابع هذا كان له أخ اسمه أشك فلما تغلب الساسانيون على مملكة أردوان ذهب أشك إلى جهة الجزيرة وأسس دولة جديدة فيها سنة ٢١٨ م .

(٢) ويروى أن آخرهم أردوان الخامس ولكنه خطأ .

(٣) ووجد بعض الأعراب النازلين قرب حصية - موقع بين بغداد والمسيب - قطعة من تسابوت برتي فأشترها منه أحد الأوربيين في سنة ١٩٢٣ م ومن الأثر التي حفرها البرتيون نهر الملك الذي احتفروه أردوان الرابع .

تتمة لما تقدم

لقد اختلفت أقوال المؤرخين في مدة هذه الدولة وعدد ملوكها منذ نشأت حتى انقراضها. فمن قائل أن مدتها كانت ٣٩٧ سنة ومن قائل أنها عاشت ٤٨١ سنة ومن قائل أنها دامت ٤٧٤ سنة ، ويزعم بعضهم أن عدد ملوكها ٣١ ملكاً ويقول آخرون (٣٠) ملكاً وان الذين حكموا العراق منهم عشرون ملكاً أولهم مهر داد السادس وآخرهم أردوان الرابع ، ويروى البعض ان عددهم ١٩ ملكاً. وكذلك جانت أسماء هؤلاء الملوك مختلفة جداً فمنهم من يسمى أردوان باسم أرطبان ومنهم من يذكر اولغاش بدلاً من أردوان ومنهم من لم يذكر اسم أحد من هؤلاء الملوك إلا في سياق ذكر حادثة حربية أو فتنة داخلية. وبينما نرى تواريخ الرومانيين تذكر أربعة ملوك سموا باسم أردوان نرى تواريخ الفرس لا تذكر غير ملكين سميّا بهذا الاسم وترى من جهة أخرى أن بعضهم بلقب كل ملك بلقب أرشاق ويقول أن أولهم أرشاق الأول وآخرهم أرشاق الواحد والثلاثون^(١).

(١) وعلى هذا فأقم كانوا يلقبون بهذا اللقب كما لقبوا ملوك الروم بالقيصرة وكما كان الساسانيون يلقبون بالأكاسرة وان كلمة أرشاق كانت تضاف إلى اسم الملك كما كانت كلمة قيصر تضاف إلى اسم ملك الروم وكلمة كسرى تضاف إلى اسم الملك الساساني .

وروى بعض المؤرخين أن الذى تولى بعد أرشك الأول أشكان الأول ثم أشكان الثانى ثم شابور ثم بهرام ثم بلاش ثم هرمز ثم نرسى ثم فيروز ثم بلاش الثانى ثم خسروا ثم بلاش الثالث ثم كودرز ثم ترسى الثانى كودرز الثانى ثم اردوان الثانى وبه انقرضت هذه الدولة .

ويقول آخران الذى تولى الأمر بعد أرشك أخوه تيرداد ثم أردوان الأول ثم افراسياب ثم فرهاد ثم مهرداد الأول الذى قاتل السلوقيين وأخذ منهم بلاد مادي وبلاد آشور وبلاد بابل واسر الملك السلوقى ده مترثيوس فى الحادثة التى وقعت على ساحل الفرات بعد حروب هائلة . ويروى لنا غيره أن أولهم أرشاق أو أرشك ثم ثيردات الأول ثم أرشاق الثانى ثم أبراهاباط ثم أبراهاط الأول ثم ميثريدات الأول ثم ابراهاط الثانى ثم أرطبان الأول ثم ميثريدات الثانى ثم أرطبان الثانى ثم سناطروق ثم أبراهاط الثالث ثم ميثريدات الثالث ثم ورود ثم أبراهاط الرابع ثم أبراهاطاس ثم أورود الثانى ثم أونون ثم أرطبان الثالث ثم تيردات الثانى ثم وردان ثم كوتارز (و كورتارسن) ثم أوجودرز ثم اولغاش الأول ثم بافور ثم خسرو ثم برثاتسياب ثم اولغاش الثانى ثم اولغاش الثالث ثم اولغاش الرابع ثم أرطبان الرابع . وذكر بعضهم أن الذى جلس على العرش بعد ارشك هو تيراد ثم اردوان الأول ثم أفراسياب ثم فرهاد الأول ثم مهرداد الأول ثم فرهاد الثانى ثم هرمز ثم فرهاد الرابع (ولم يذكر الثالث) ثم فيروز ثم خسرو ثم بلاش الثالث (ولم يذكر بلاش الأول ولا الثانى) ثم اردوان الخامس (ولم يذكر غير الأول قبل هذا) وبه انقرضت هذه الدولة .

وخلاصة القول أن المؤرخين لم يتمكنوا من ضبط أسماء ملوك هذه الدولة بصورة صحيحة ولم يتوقفوا إلى معرفة تاريخها بالضبط ولذلك تناقضت أقوالهم واختلفت أخبارهم خصوصاً وأن هذه الدولة لم تترك آثاراً تاريخية حتى يتوصل

الباحثون إلى ما يحتاجه التاريخ. ومع ذلك فأنا قدمنا في أبحاثنا ما هو الأرجح وذكرنا في هذا البحث ما وصلنا عن المؤرخين ولا بد من يوم نقف فيه على ضالتنا بواسطة ما يستخرجه النقبائون من أطلال المدن القديمة ولا سيما إذا حفروا أطلال اكتسيفون التي كانت عاصمة هذه الدولة^(١).



(١) اكتسيفون أو اكتريفون يقال أن البرتين سموها تيسفون فسمهاها العرب طيسفون وطسفونج وموقعها على ضفة دجلة الشرقية في جنوب بغداد بناها البرتيون وأخذوها عاصمة بعد سلوقية فنالت في أيامهم من العز والحياة والثروة ما لم تبلغه مدينة في ذلك العهد وكثرت فيها المعازل والحصون وتعددت فيها المياكل والمباني العظيمة والقصور وكان لها سور حصين وبقي البرتيون الواحد بعد الآخر يزيد فيها من المباني الفخمة والقصور العظيمة والمياكل الشائخة حتى صارت من أعظم مدن العراق ولكنها نكبت مراراً على يد الروم وأول من زحف منهم عليها ثريانوس قيصر وتمكن من فتحها عنوة سنة ١١٥ م واستباحها بالقتل والنهب والأسر ثم حمل عليها فيروس الروماني بعد أن فتح سلوقية عنوة فأفتحها وحى ما بقي من آثارها ثم أعاد بناء سورها البرتيون وأكثروا فيها من الحصون والمعازل وأسباب القوة فلم يتمكن الروم من الاستيلاء عليها بعد ذلك . وكان يحيط هذه المدينة ميلين .